

الفصل في الملل والأهواء والنحل

إن من كان صبيا ثم عاش حتى شاخ إنه لم يكن عند الله قط إلا شيئا ولو جمع ما يدخل عليهم لقام منه سفر ضخم وقالوا كلهم أنه ليس على طهر الأرض يهودي ولا نصراني يقر بقلبه إن الله حق .

قال أبو محمد هذا تكذيب للقرآن على ما بينا قبل ومكابرة للعيان لأننا لا نحصي كم دخل في الإسلام منهم وصلح إيمانهم وصار عدلا وكلهم لا يختلف في أنه كان قبل إسلامه مقرا بالله عالما به كما هو بعد إسلامه لم يزد في توحيده شيء فكابر والعيان وكذبوا للقرآن بحقوق وقله حياء لا نظير له وقال الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن مني قول الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر وقوله تعالى لا يحب الفساد إنما معناه لا يحب الفساد لأهل الصلاح ولا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا ولم يرد أنه لا يرضاه لأحد من خلقه ولا يحبه لأحد منهم ثم قال وإن كان قد أحب ذلك ورضيه لأهل الكفر والفساد .

قال أبو محمد وهذا تكذيب لله تعالى مجرد ثم أيضا أخبر بأن الكفار فعلوا من الكفر أمرا رضى الله تعالى عنهم وأحبه منهم فكيف يدخل هذا في عقل مسلم مع قوله تعالى اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم وأعجبوا لظلمة جهله إذ لم يفرق بين إرادة الكفر والمشينة والخلق له وبين الرضا والمحبة وقال أيضا فيه أن أقل من سورة من القرآن ليس بمعجز أصلا بل هو مقدور على مثله وقال أيضا في السفر الخامس من الديوان المذكور إن قيل كيف تقولون أكان يجوز من الله أن يؤلف القرآن تاليفا آخر غير هذا يعجز الخلق عن مقابلته قلنا نعم هو تعالى قادر على ذلك وعلى ما لا غاية له من هذا الباب وعلى أقدار كثيرة وأعداد لا يحصيها غيره إلا أن كان تأليف الكلام ونظم الألفاظ لا بد أن يبلغ إلى غاية وحد لا يحتمل الكلام أكثر منه ولا أوسع ولا يبقى وراء تلك الأعداد نص والأوزان شيء تتناوله القدرة قال ولنا في هذه المسألة نظر في تأليف الكلام ونظم الأجسام وتصوير الأشخاص هل يجب أن يكون نهاية لا يحتمل المؤلف والمنظوم فوقها ولا ما هو أكثر منها أم لا .

قال أبو محمد هنا صرح بالشك في قدرة الله تعالى ألها نهاية كما يقول أبو الهذيل أخوه في الضلال والكفر أم لا نهاية لها كما يقول أهل الإسلام ونعوذ بالله من الضلال .

قال أبو محمد ولقد أخبرني بعض من كان يداخلهم وكان له فيهم سبب قوي وكان من أهل الفهم والذكاء وكان يزري في باطن أمره عليهم أنهم يقولون أن الله تعالى مذ خلق الأرض فإنه خلق جسما عظيما يمسكها عن أن تهوي هابطة فلما خلق ذلك الجسم أفناه في الوقت بلا زمان وخلق آخر مثله يمسكها أيضا فلما خلقه أفناه أثر خلقه بلا زمان أيضا وخلق آخر وهكذا أبدا أبدا

بلا نهاية قال لي وحجتهم في هذا الوسواس والكذب على الله تعالى فيه مما لم يقله أحد قبلهم
مما يكذبه الحس والمشاهدة أنه لا بد للأرض من جسم ممسك واللاهوت فلو كان ذلك الممسك يبقى
وقتاً أو مقدار طرفة عين لسقط هو أيضاً معها فهو إذا خلق ثم أفنى إثر خلقه ولم يقع لأن
الجسم عندهم في ابتداء خلقه لا ساكن ولا متحرك .

قال أبو محمد وهذا احتجاج للحق بالحق وما عقل أحد قط جسماً لا ساكناً ولا متحركاً بل
الجسم في ابتداء خلقه الله تعالى له في مكان محيط به في جهاته ولا شك ساكن في مكانه ثم
تحرك وكأنهم لم يسمعوا لقول الله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن